مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
مجلد: 10 عدد: 01 السنة 2018 رقم العدد التسلسلي 15

التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف، وأثره في بيان المعاني

Simile In The Holy Prophet Hadiths And Its Effects On The Clarification Of Meanings

أ.مسعود مرزوقي
جامعة الجزائر (01)
marzmassd@gmail.com

تاريخ الوصول 2018/02/05 – تاريخ المراجعة 2018/04/02

ملخص البحث

نحاول في هذا البحث تناول التشبيه التمثيلي في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وأثرها في بيان المعاني من حيث مفاهيمها وتحديد معانيها، حيث نتطرق إلى أراء مختلف علماء البلاغة موضحين وجهات نظرهم في المسألة، وبعدها نسقط ذلك على مختلف أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، موضحين الجوانب البلاغية في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ونختم بحثنا بأهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، التمثيل، المعاني، الحديث النبوي الشريف.

Abstract

This research deals with rhetorical analogy and tries to discover its effect on the literature of the sayings of the Prophet (PBUH)- Hadith- and identifying its meanings. First, we try to define and identify the rhetorical analogy (simile) in the different scholars of rhetoric literature. Then, we try to clarify and compare between the different views regarding the topic. Next, we deal with the rhetoric literature of the sayings of the Prophet (PBUH) and stand on the different reasons and factors that identified it. Finally, we mention the main results that we find through this work.

KEYWORDS: The analogy, assimilation, Semantics, The sayings of the Prophet (PBUH)

مقدمة

بعث الله تعالى نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام وأّيده بجوامع الكلم وخصّه ببدائع كلامه «بعثت بجوامع الكلم»[1]، قيل: إن جوامع الكلم أن الله تعالى يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين أو نحو ذلك، وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بالمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة[2].

ومن هذا المنطلق ننظر إلى النص النبوي الشريف باعتباره نصا أدبيا بليغا تقوم فيه الصورة البيانية على مخاطبة الكينونة الإنسانية من خلال عرض صور مرئية أو غيبية، مستخدمة الألوان البيانية،التي تساعد على وضع المتلقّي أمام حقائق تصل إلى وجدانه ومشاعره قبل عقله.

ومن هذه الألوان الصورة التمثيلية في البيان النبوي الشريف، فهي تخاطب الحسّ والوجدان الإنساني وتربي ذوقه، فكان لابدّ من الوقوف على مدى تأثير التمثيل النبوي الشريف في المتلّقي، وما هي أهم المعاني التي عبّر عنها التمثيل النبوي؟ مع الإشارة في التحليل إلى بناء صورة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف في توجّهه نحو الحقائق الدينية، سواء من عالم المحسوسات أو الغيبيات.

ولأجل ذلك وظّفنا المنهج التحليلي اعتقادا منا أنه المناسب في مثل هذه المواضيع، ثم الاستعانة ببعض المناهج الأخرى حسب الموقف وطبيعة النص.

وللإجابة عن ذلك قسّمنا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، خصّصنا المبحث الأول لدراسة مفهوم التشبيه التمثيلي من خلال الوقوف عند المفهوم اللغوي والاصطلاحي، ثم الفرق بين التشبيه والتمثيل، ثم أهم الآراء التي تناولته، والموازنة بينها، وجاء المبحث الثاني في البلاغة النبوية وجهود الباحثين في دراستها من خلال النظر إلى أسباب بلاغته عليه الصلاة والسلام، وجهود القدماء فيوصفها، والمعاصرين في دراستها وتحليلها، وعرضنا في المبحث الثالث إلى أهم المعاني التي جاءت في التمثيل النبوي الشريف من خلال بيان الدعوة المحمدية، ثم ذكر صفات

المؤمن، إلى جانب الدعوة إلى قراءة القرآن الكريم وتلاوته والعمل به، وأنهينا هذا البحث بخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

أولا- التشبيه التمثيلي بين المفهوم وآراء علماء البلاغة

1- مفهوم التشبيه في اللغة والاصطلاح.

التشبيه في اللغة من مادة: «شبه:الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ:المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ ، وأشبه الشيئُ الشيئَ : ماثله، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم»[3]، ثم قال: «وفي التنزل: {و الزيتون و الرمان مشتبها و غير متشابه} [سورة الأنعام:99] وشبَّهه إيّاوشبَّهَه به: مثّله، والمشتبهاتُ من الأمور: المشْكِلاتُ، والمتشابهات: المتماثلات، وتشبَّه فلان بكذا، والتشبيه: التمثيل»[4].

أما أحمد مطلوب فقد قال: «التشبيه: الشبه والشبيه المثل، وأشبه الشيء: ماثله وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل»[5].

والملاحظ أن التشبيه والتمثيل دلالتهما اللغوية واحدة، ولذلك نجد ومن اللغويين والبلاغيين من لم يفرق بين "التشبيه" و"التمثيل، فجعلوهما مترادفين ولم يفرقوا بينهما فكل تشبيه تمثيل، وكل تمثيل تشبيه، ومن هؤلاء الزمخشري في تفسير قوله تعالى: {و اقصد في مشيك و اغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} [سورة لقمان:19]، حيث يقول: «وقد عدّ في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة، ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت، والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان»[6].

الملاحظ أن الزمخشري شبه الرافعين أصواتهم بالحمير وهذا تشبيه صحيح، وكذلك تشبيه أصواتهم بالنهاق، غير أنه سمى الثاني تمثيلا، لأنه لا يفرق بين التشبيه والتمثيل، بل ينظر إليهما على أنهما شيء واحد لذلك جعلهما مترادفين لشيء واحد مردّه في ذلك الدلالة اللغوية للفظين، فدلالتهما في اللغة واحدة[7].

ولعل تعريف الخطيب القزويني للتشبيه التمثيلي هو ما ذهب إليه جمهور علماء البلاغة فهو: ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد أي من أمرين أو أمور سواء كان ذلك التعدد متعلقا بأجزاء الشيء الواحد أم لا، والتمثيل عنده هو: «ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين، أو أمور»[8]

2- آراء علماء البلاغة في التمثيل

وإذا كان الرأي المناسب لبحث التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف هو ما ذهب إليه الخطيب القزويني وجمهور علماء البلاغة، لاعتماده عليه الصلاة والسلام في الغالب، على الجوانب الحسية والمرئية، فإننا في هذا المقام، نتناول رأي عبد القاهر الجرجاني، والسكاكي.

أ- رأي عبد القاهر الجرجاني.

التشبيه التمثيلي من المباحث التي اهتم بها عبد القاهر الجرجاني حيث فَرق بين التشبيه والتمثيل، وذهب إلى أن التشبيه أعَم والتمثيل أخصّ منه، قال: «وإذا عرفت الفرق بين الضربين، فاعلم أن التشبيه أعّم والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا»[9].

والتشبيه غير التمثيلي عنده ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا لا يحتاج إلى تأويل وإعمال فكر وصرف عن الظاهر، لأن المشبه فيه يشارك المشبه به في صفته كالتشبيه من جهة الصورة والشكل نحو أن تشبيه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه والحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللون تشبيه الخد بالورد، والشعر بالليل ومثل هذه الصور وغيرها من التشبيه غير التمثيلي، أو التشبيه الظاهر.

وأما التشبيه التمثيلي فهو: «مالا يكون الوجه فيه أمراً بينا بنفسه، بل يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأويل والصرف عن الظاهر، لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية، ويتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه ليس حسيا، ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية، ولكنه عقليا غير حقيقي، أي غير مقرر في ذات الموصوف»[10].

ثم يذكر عبد القاهر الجرجاني أن التشبيه التمثيلي يتفاوت تفاوتا شديدا حيث قال: «ثم إن ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتا شديدا، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ويعطي المقادة طوعا، حتى إنه يكاد يداخل الأول الذي ليس من التأول في شيء، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة»11.

والواضح من كلامه أنه ينظر إلى التشبيه التمثيلي من خلال مستويات متعددة، ويمكن اعتبار هذا مدخلا للتقسيمات العديدة في هذه الصورة البلاغية، وقد ذكر شواهد كثيرة استدلّ بها على هذه التقسيمات، مثل قوله: «ألفاظه كالعسل في الحلاوة، وحجة كالشمس في الظهور، وهم كالحلقة المفرغة لا يُرى أين طرفاها»[12].

غير أن عبد القاهر لم يفصل في تبيان أوجه التفاوت بين تلك الأمثلة التي تحتاج إلى تأول.

وخلاصة القول إن التمثيل عنده محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا غير غريزي، سواء كان مفردا أو مركبا.

ب- رأي السكاكي

وأما السكاكي فإنه يعرف التشبيه التمثيلي بقوله: «اعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور خص بالتمثيل»[13].

وهذا التعريف يختلف عن تعريف عبد القاهر الجرجاني في وجوه، ويتفق معه في وجوه أخرى، ووجه الاتفاق في هذا المقام، أن التشبيه إذا كان وجه الشبه فيه حسيا سواء أكان مفردا أم صورة مركبة لا يسمى تمثيلا، فهو يخالفه فيما يفهم من كلامه أنه لا يمانع أن يكون وجه الشبه في التشبيه التمثيلي مفردا إذا كان هذا الوجه يحتاج إلى تأّول، أما السكاكي فهو يرى أن التشبيه التمثيلي لا ينبغي أن يكون وجه الشبه فيه مفردا، وإنما لابد أن يكون هيئة مركبة منتزعة من متعدد وغير حقيقي، أي غير حسي، بل عقلي قائم في الطرفين.

ومن الأمثلة التي ساقها السكاكي قول عبد الله بن المعتز:

اصبر على مضض الحسو د فإنّ صبرك قاتلـــه

فالنـار تأكـل نفســـــها إن لم تـجد ما تأكلـه ْ

فإن تشبيه الحسود «المتروك مقاولته بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس إلا في أمر متوهم له، وهو ما تتوهم إذا لم تأخذ معه في المقاولة مع علمك بتطلبه إياها عسى أن يتوصل بها إلى نفثه مصدور من قيامه إذ ذاك مقام أن تمنعه ما يمد حياته ليس فيه الهلاك، وإنه كما ترى منتزع من عدة أمور»[14].

والملاحظ أنه شبه الحسود في عدم مقولته التي تعين على نفث ما في صدره بالنار التي لاتُمد بالحطب فتنطفئ، ووجه الشبه قائم في الطرفين، وهو الفناء لعدم وجود مدد البقاء، وهو وصف عقلي ثابت في الحسود والنار.

والملاحظ أن الشواهد التي جاء بها السكاكي ذكرها عبد القاهر الجرجاني من قبل، عند ما كان في مقام التفرقة بين التشبيه والتمثيل، ثم تناولهما السكاكي بالدراسة والتحليل، وكان في تحليله يطلق على وجه الشبه، الأمر التصويري، أو الأمر التوهمي، أو الصفة غير الحقيقية، وهذه التسميات تشير إلى مسمى واحد وهو وجه الشبه العقلي.

ثانيا– البلاغة النبوية وجهود العلماء في دراستها

إن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية فقد أخبر عن نفسه فقال: «بعثت بجوامع الكلم»[15]، قيل: إن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين أو نحو ذلك، وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بالمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة.[16]

1– أسباب بلاغته وفصاحته صلى الله عليه وسلم.

من أجل دراسة العوامل والأسباب التي أثرت في بلاغته صلى الله عليه وسلم، سأكتفي بالإشارة إلى أبرزها وأهّمها في حياته عليه الصلاة والسلام.

أ– نشأته في بيئة عربية خالصة:

لقد نشأ عليه الصلاة والسلام نشأة لغوية في بيئة عربية نقية خالصة، صقلت موهبته المتفردة من بني البشر، ليتمكن لسانه من أداء عما يلهم خاطره، ويجيش في صدره من المعاني.

إلى جانب ذلك نسبه الكريم، أنه كان قرشيا، هاشميا، وقريش من أفصح القبائل العربية لسانا، وأخلصها منطقا، وأنصعها بيانا، وأعذبها بلاغة، ثم أن أخواله من بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر، وزواجه من بني أسد، ومهاجرته إلى المدينة حيث الأوس والخزرج، وهذه القبائل أخلص لسانا، وأعذبها لهجة[17].

ولهذا لم نجد من يطعن في فصاحته وبلاغته من المشركين، لأنهم يدركون أنه على حد الكفاية فيها «فمحمد العربي القرشي الناشئ في بني سعد، العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبيلة نائية في أطراف الجزيرة، لم يكن في كلامه كله غريب يجهله السامع، أو يحتاج تبيانه إلى مراجعة، وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ، أو يريد أن يصل إلى سامعه، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزا من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب»[18]. هذه القدرة اللغوية يضاف إليها الجانب الفطري.

ب- الفطرة النقية.

تعد الطبيعة النقية الصافية التي فطره الله عليها من بين الأسباب التي أهلت البلاغة النبوية لأن تصل قمة البيان الإنساني، فقد وهبه الله فطرة صفية نقية وبديهة حاضرة، « وقلبا واعيا، وبصرا نافذا، وذهنا متوقدا، ولسانا فصيحا، مما لم يبلغه سواه من الخلق أجمعين، وذلك لإبلاغ رسالته كافة»[19]، وقد أسهمت هذه الفطرة النقية في استيعابه صلى الله عليه وسلم ألفاظ اللغة وتراكيبها، كما قال الرافعي: «كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابا، وأسدَّهم لفظا، وأبينهم عبارة ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لقد كانوا نقلوه، وتحدثوا به واستفاض فيهم»[20].

ج- التمكين الإلهي.

أما التمكين الإلهي والعطاء الرباني فهي منحة خصه بها جل جلاله دون العالمين، وهذه المنحة تتمثل في جوامع الكلم، إذ منحه عزّ وجلّ الفطرة النقية والبديهة الحاضرة، واللسان الفصيح، مما ساعده على تصريف الكلام، «وأعانه على

كمال الفصاحة والبيان، فتمكن صلى الله عليه وسلم من أفانين البلاغة ما أبهر قومه، وهم أصحاب اللسان، وأرباب البيان»[21].

وهؤلاء القوم وصفهم الجاحظ بقوله: «كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنّما هو أن يصرف وهْمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أوحين يمتَح على رأس بئر، أو يحدُو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صِراع أوفي حرب،.. فتأتيه المعاني أرسالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا،.. ومطبوعِين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهَر وأكثر، وهم عليه أقدر،..فلم يحفظوا إلّا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد »[22].

د- أثر القرآن الكريم في الهدي النبوي الشريف.

لقد اختار الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بين آلاف الفصحاء من قومه ليعجزهم بفصاحة القرآن، ووكل إليه أن يفسر كتابه، ويبين وحيه حين قال في محكم التنزيل{و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [سورة آل عمران:164]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الهدي النبوي الشريف، حيث أخذت تتوالى عليه صلى الله عليه وسلم.

2- الحديث النبوي الشريف في الدراسات البلاغية.

فقد نال الحديث النبوي الشريف مكانة متقدمة من جهود العلماء، حيث حظي بدراسات كثيرة في مجالات علمية متعددة، منها: الرواية، والتدوين، والتوثيق، والشرح، والتفسير، واستخلاص الأحكام الفقهية والشرعية والقيم الأخلاقية.

أ- البيان النبوي في وصف القدماء.

- الجاحظ.

قال: يونس بن حبيب وهو يصف بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم:

« ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»[23] نقل الجاحظ هذه الكلمة في معرض حديثه عن بعض فنون الكلام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:«وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثرت

معانيهوجلّ عن الصنعة، وذُرِّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد: {و ما أنا من المتكلفين} [سورة ص:86]، فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق»إلى أن قال: « ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجملَ مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرا»[24].

– الشريف الرضي.

يعد الشريف الرضي أشهر من ألف في البلاغة النبوية في تلك الفترة المتقدمة ،إذ ألف كتابا متخصصا في البيان النبوي هو: "المجازات النبوية"، تناول فيه البيان النبوي الشريف تناولا بلاغيا، امتزجت فيه الفكرة العلمية بالروح الأدبية، وجمع فيه ثلاثمائة وواحدا وستين حديثا نبويا، من جوامع كلمه عليه الصلاة السلام، بيّن ما فيها من الألوان البلاغية، وأسرار اللغة اللطيفة، ونبّه إلى السر البلاغي في إيثار التعبير بالمجاز على التعبير بالحقيقة، ثم ذكر ما يؤديه المجاز من دلالات وفوائد، في تحقيق الغرض المقصود من استخدامه، وبذلك جاءت دراسته تجلية لجانب مهم من جوانب دراسة البيان النبوي في البحث البلاغي[25].

ولقد ذكر في مقدمة كتابه السبب الذي دفعه إلى وضع هذا التأليف النفيس المتخصص في دراسة البيان النبوي الشريف فقال: «وأني سلكت من ذلك محجة لم تسلك، وطرقت بابا لم يطرق ، وما رغبتَ إلّي فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات والآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة، ولمع البيان الغريبة، وأسرار اللغة اللطيفة، يعظم النفع باستنباط معادنها، واستخراج كوامنها، وإطلاعها من أكمتها وأكنانها، وتجريدها من خللها وأجفانها، فيكون هذان الكتابان بإذن الله لمعتين يستضاء بهما، وعرنينين لم أسبق إلى قرع بابهما»[26].

– الخطابي

تناول الخطابي البلاغة النبوية، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه " غريب الحديث" تحت عنوان " ذكر فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يُؤثَر من حُسْنِ بيانه"، حيث ذكر أهم سمات أسلوبه عليه الصلاة والسلام بقوله: « إن الله جلّ وعزّ لّما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ، وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف، ثم أمّده بجوامع الكلم التي جعلها رِدْءا لنبوّته، وعلما لرسالته، لينتظم في القليل منها علم الكثير، فيسهل على السامعين حفظه، ولايؤودهم حَمْلُه، ومن تتّبع الجوامع من كلامه لم يَعدَم بيانها، وقد وصفت منها ضروبا، وكتبت لك من أمثلتها حروفا، تدل على ما وراءها من نظائرها وأخواتها»[27].

– ابن الأثير.

وقد اهتم ضياء الدين بن الأثير بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه: "المثل السائر" حيث وقف عند ما يزيد على مائة وثلاثين حديثا، استخلصها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وعرض في كل حديث لفن بلاغي أو أكثر يستدل به على جودة الكلام، وحسن مجيء الفن التعبيري في موضعه، والبيان في موطنه، من استعارة أو تشبيه أو كناية، أو محسن لفظي كسجع أو طباق أو مقابلة هذا الاهتمام ينبئ عن تقديره وإكباره، ثم أفاض في الاستدلال بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في أبواب الإيجاز والمجاز، والتشبيه والاستعارة، والكناية وتحليلها وبيان فضلها وفضائلها، وفضل الرسول صلى الله عليه وسلم في دقة استعماله.

– عبد القاهر الجرجاني.

ومما أورده في حديثه عن البيان النبوي قوله: «ومثال الأصل الثاني: وهو أخذ الشبه من المحسوس للمحسوس، ثم وجه الشبه عقلي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إيّاكم وخضراء الدمن" الشبه مأخوذ للمرأة من النبات كما لا يخفى، وكلاهما جسم إلا أنه لم يقصد بالتشبيه لون النبات وخضرته، ولا طعمه ولا رائحته ولا شكله وصورته، ولا ما شاكل ذلك، بل القصد شبه عقلي بين المرأة الحسناء في المنبت

السوء، وبين تلك النابتة على الدمنة وهو حسن الظاهر في رأي العين مع فساد الباطن، وطيب الفرع مع خبث الأصل»[28].

ب- الدراسات البلاغية المعاصرة في الحديث النبوي الشريف.

البلاغة النبوية في عصرنا الحاضر نالت بعض الاهتمام من الدارسين في حقل البلاغة النبوية، وهي في حقيقة الأمر كانت امتدادا لجهود العلماء السابقين، غير أن الدراسات المعاصرة لم تتناول كل الجوانب البلاغية المتصلة بالحديث النبوي الشريف، لأن الحديث النبوي ثري بالمعاني والأسرار الجمالية، ولا يعلو عليه إلا القرآن الكريم بلاغة وفصاحة وأسلوبا.

ثالثا- التمثيلي النبوي الشريف في بيان أهم المعاني الدينية

عنى الخطاب البياني في الحديث النبوي الشريف بالصورة التمثيلية لأهميتها في إبلاغ الرسالة المحمدية إلى الناس كافة، وتوصيلها واضحة المعالم، ولذلك أصبح التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف فاعلا في النص النبوي الشريف، وأسلوبا رئيسيا في تحقيق غايات سامية جليلة، من أجل الإبانة والتأثير والإقناع والتمكين في نفوس المتلقين، إلى جانب الأبعاد الجمالية والتحسينية التي تتجلي نتيجة لتشكيلها الفني.

1- التمثيل النبوي في بيان الدعوة المحمدية.

جاءت عدّة أحاديث بأسلوب التشبيه التمثيلي، تتناول فضائل الرسالة المحمدية، وتظهر الدين العظيم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلام، تبين فضله ومدى ملاءمته للإنسانية، بطريقة تتسجم مع فطرتهم، دين جاء به نبي عظيم رؤوف رحيم حرص على هداية البشرية، رسالة اكتمل بها عقد النبوات، آخر رسالة لآخر أمة.

لقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا كل الحرص على أمته قال تعالى: {حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} [سورة التوبة:128]، فقد جاء مبشرا ونذيرا، وبدأ عليه الصلاة والسلام بمن هو أولى بالبدء، فقد جاء عن قِبيصة بن المخارقِ وزهير بن عمرو قالا: لما نزلت: {و انذر عشيرتك الأقربين} [سورة الشعراء:214]، قال:

انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رَضْمَةٍ[29] من جبل، فعلا أعلاها حجرا، ثم نادى: «يا بني عبد منافاه إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدّو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: ياصباحاه»[30].

والحديث يظهر مدى حرصه عليه الصلاة والسلام على نجاة قومه فقد بدأ بمن هو أهل للبداية وهم عشيرته الأقربون، فهم أقرب الناس إليه لذلك إذا قامت الحجة عليهم قامت على غيرهم، وعندما نزلت الآية:﴿بي تر تز﴾انطلق عليه الصلاة والسلام مسرعا إلى أهله منذرا ومحذرا من الهلاك الذي صار قريبا، فابتدأ «خطابه معهم بكلام ينبع من الأمر الإلهي، ويتسق معه، فقال: (يا بني عبد منافاه إني نذير) ويمثل إسراع النبي عليه السلام في إلقاء هذا الكلام دلالة على سرعة امتثاله لأمر الله في إنذار عشيرته، وهو بمنزلة الجملة الأم للخطاب كله، لأن ما جاء بعده من التمثيل كان لبيان هذه الجملة، وتوكيدا للمعاني التي دارت حولها»[31].

وقد وظّف عليه الصلاة والسلام من أجل تحقيق هذا التمثيل الأسلوب القصصي وسيلة، بغية جعل السامع يحيا الحدث ويتفاعل معه، مما يسهل الاستجابة لأمر الله فيظفر الجمع بالنجاة، وحتى يتمكن عليه السلام من ذلك اعتمد في مادة بناء صورة التشبيه التمثيلي مما هو مألوف في البيئة العربية من حوادث الحروب والغزو وكانت هذه الأمور شائعة بين القبائل العربية، وأخوف ما يخافه العربي في ذلك الوقت هي الحروب ،لأنه يدرك أنها تهدد وجوده وحياته وعرضه وكرامته، لذلك مثّل عليه الصلاة والسلام لحاله مع قومه بحال رجل رأى العدو مقبلا على قومه فأسرع يتطلع في حركة عجلة من أعلى المرتفع، وهو يصيح محذرا ومنذرا من الهلاك القريب (ياصباحاه)، وهي كلمة يقولها المستغيث أومن هو في حال خطب عظيم[32].

وفي هذه الصورة التمثيلية معان متعددة منها: الحب للأهل، والخوف عليهم، ثم إن تصديق رسول الله والدخول في الإسلام سبب للحياة، وأما تكذيبه والبقاء على الكفر فسبيل الهلاك، ومن هذه المعاني أيضا أن الإسلام دين العقلاء فلا يرده عاقل، لأن رده هدم للعقل وقتل للنفس[33].

هذه المعاني الدينية تقترب وتلتقي بمعان أخرى جاءت في حديث آخر عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل ما بعثني الله، كمثل رجل أتى قوما فقال: رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء. فأطاعه طائفة فأدلجوا على مهلهم، فنجوا، وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم»[34].

والحديث يتناول من خلال التشبيه التمثيلي أمرا معنويا مغيبا، وهو خطر يوم القيامة، وهذا أمر عظيم وفي غاية من الأهمية، «لذلك عُني بجلائه وإبانة أمره، فصوّر الإنذار به بحالة من واقع الحياة الملموسة، ليقربه لأذهانهم، وهذا أمر معروف في التشبيه، وتفسير هذا المثل أن رجلا لقي العدّو فسلبوه ثيابه فأسرع إلى قومه وهو بهذه الحال يحذرهم، أو أن كان من عادة العرب في الجاهلية أن الرجل إذا داهم الخطر قومه خلع ثوبه ولوَّح به لقومه، قائلا:" واصباحاه" أيصبحكم الجيش، ليحذرهم وينذرهم الخطر المحدق»[35].

أما الحديث الثاني: فإنه يختلف قليلا عن الحديث الأول بحكم الغرض، حيث أراد عليه الصلاة والسلام أن يتخذ الصورة التمثيلية لموقفه من الناس، ومن رسالته تصديقا وتكذيبا، وهذا الأمر الأخير أساسي في معنى الصورة ،ثم هناك تصدير الحديث، فالأول جاء تنفيذا للأمر الإلهي: (يا بني عبد مناف إني نذير)، وأما الحديث الثاني فقد جاء بصيغة:(مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوما)،إلى جانب ملاحظة أن الحديث الأول جاء فزعا متفجعا، لأنه جاء استجابة للأمر الإلهي، بينما نجد في المقابل مطل النبي عليه السلام واضحا، لأن الهلاك ليس قريبا قرب الهلاك هناك، ويتضح ذلك في التفصيل المترتب عن الإنذار تصديقا أو تكذيبا[36].

والحديث الأخير الذي نود الوقوف عنده هو ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون

فيها»[37]، وفي رواية مسلم قال في آخرها: «فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها»[38].وهذا الحديث فيه اشتراك معنوي مع الحديث السابق، مع أن التمثيل والتصوير فيه افتراق، فالصورة السابقة تتعلق بالنذير العريان مع قومه، منهم من أطاعه وصدق فكتب له النجاة، ومنهم من عصاه وكذبه فكتب له الهلاك، وأما هذه الصورة فهي صورة رجل استوقد نارا، ولفظ استوقد فيه إيحاء بالإضاءة وفرط الإنارة، والمراد: «ما أظهره من حدود الله ببياناته الشافية من الكتاب والسنة، وقد انتشر هذا البيان في مشارق الأرض ومغاربها، وهو ما عبر عنه بالإضاءة التي هي فرط الإنارة»[39].

2- التمثيل النبوي في وصف صفات المؤمنين.

يأتي التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف للكشف عن صفات المؤمنين في أحاديث متعددة، كتلك التي تبين صفات المؤمنين والمنافقين والكفار، وأكثر هذه الأحاديث يركز على صفات المؤمنين من خلال وصف قوة إيمانهم وأخلاقهم، ووصف حالهم في وقت الشدائد والمصائب، أو وصف العلاقة القائمة بين المؤمنين، وغير ذلك من المعاني التي تناولها التشبيه النبوي الشريف.

ومن هذه الصّور ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدّثوني ما هي؟"، قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحيت، ثم قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال:" هي النخلة»[40].

وفي رواية مسلم: «قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت: "هي النخلة" أحبّ إلّي من كذا وكذا»[41].

والصورة في هذا الحديث جاءت معكوسة، حيث بدأ عليه الصلاة والسلام بذكر المشبه به، وأخبرهم أنه مثل المسلم، ثم دفع إليهم بالسؤال عن طبيعة هذا المشبه به وفي ذلك تشويق وإثارة الانتباه عند السامع وأخذ بمَجَمع مداركه، فبعد أن شغل الأذهان بالبحث والتفكير عن الجواب في رحلة داخل ذواتهم، وفي الصفات التي يتصفون بها، لأن الجماعة تنتمي إلى جماعة المسلمين الممثل لها، ولذلك فإن

الكشف عن الجواب بعد طول تفكير وشدّة شوق ـ خاصة وأن الأمر يتعلق بهم ـ يكون أعلق بالنفس، وأمكن في القلب مما لو جاء الجواب من دون استثارة نفس، ولا تهييج عقل[42].

ثم يأتي بعد ذلك ذكر المشبه "وإنها مثل المسلم"، والملاحظ أن المشبه جاء مؤكدا بحرف توكيد "إن"، في حين نلاحظ أن الجواب جاء خليا من التوكيد، «ولعل وراء ذلك نكتة معنوية لطيفة وهي أن المخاطب لما لم يكن عالما بحقيقة المشبه به، وما يجمعه به من شبه، فإن هذا يثير في نفسه أسئلة عن هذه الشجرة، وعن أوجه التلاقي بينهما، ولذلك اقتضى المقام أن يساق القول له مؤكدا حتى يقّر في نفسه أن ما بينه وبين هذا الذي يبحث عنه من شبه ثابت مؤكد، وهذا دافع كبير للمخاطب كي يفتش عن تلك الشجرة، أما خلو الجواب من التوكيد ففيه دلالة على أن التشابه بدهي لا يتردد في قبوله أي أحد، لأنه يمثل حقيقة ثابتة»[43].

والملاحظ في بناء الصورة تقديم خبر إن (من الشجر) وتأخير اسمها (شجر)وهو المشبه به، وفي ذلك عرض لكم متنوع من أشكال الشجر بغية إخراج شجرة معينة متميّزة عن سائر أنواع الشجر، وفي ذلك إخراج المعنى من أجل إظهار التميّز، « ويظهر تميّز المسلم وتفرّده بالخير والجمال من خلال تعبير "من الشجر شجرة"، فهو كائنمنتقى من بين الآدميين كما تُنتقى شجرة النخيل، وتميّزها باستمرار الخيرية في تعبير "لا يسقط ورقها "الذي جاء امتدادًا وصفياً لذكرها»[44].

لقد أدرك العيني هذا الترابط والتشابه بين المسلم والنخلة، وما تتسم به من فوائد ومحاسن فقال: «حال المسلم العجيب الشأن كحال النخلة، أو صفة المسلم الغريبة كصفة النخلة، فالمسلم هو المشبه، والنخلة هي المشبه بها، وأما وجه الشبه فقد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو كثرة خيرها، ودوام ظلّها، وطيب ثمرها، ووجودها على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لايزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعا، وحطبا وعصيا، ومحاضر، وحصرا، وحبالا، وأواني وغير ذلك مما ينتفع به من أجزائها، ثم آخرها نواها ينتفع به علفا للإبل وغيره، ثم جمال بناتها وحس ثمرتها، وهي كلها

منافع وخير وجمال، كذلك المؤمن خير كله من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه ومواظبته على صلاته وصيامه وذكره والصدقة وسائر الطاعات، هذا هو الصحيح في وجه الشبه»[45].

ومن المعاني التي كشف عنها التمثيل النبوي؛ تلك المعاني السامية التي تحقق مبدأ الأخوة والتعاون في كيان الجماعة المسلمة، هذه الجماعة التي لا تقوم بينهم روح النزعة الفردية وانما تقوم على مبدأ التعاون والترابط والتآزر فيما بينهم ومن ذلك ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا»[46]، وفي رواية البخاري: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ، وشّبك بين أصابعه»[47]، فالمؤمن عون أخيه المؤمن قال تعالى {و تعاونوا على البر و التقوى } [سورة المائدة:2]، المؤمن مشارك لأخيه في آماله وآلامه، والرسول صلى الله عليه وسلم يصف هذه العلاقة القائمة بينهم بالقوة والتماسك والمنعة والصلابة تجاه أمور الحياة وظروفها المتغيرة والمتقلبة،لأنه غير قادر بمفرده أن يحقق ما يرغب فيه لدينه ودنياه، فهو قليل بنفسه كثير بإخوانه المؤمنين، إنه في ذلك كالبنيان يشد بعضه بعضا، حيث ينضم الجدار إلى جدران وبيوت من حوله محيطة به فيعطيه ذلك قوة ومتانة ورسوخا ثابتا صلبا قويا.

وقد اتخذ من البنيان منطلقا وأداة للتصوير وبعثا للخيال، وهذه البداية أو الاستهلال (المؤمن للمؤمن) مما يحرك الذهن والعواطف، لأنه بجعل اللفظين متلاصقين في تجاور وتلاحم، ليرسم تلاصق البنيان وتلاحمه فيما بينه، ثم تأتي الصورة الحسية للبنيان وهو يقف في رسوخ يشد بعضه بعضا، وكلمة "البنيان" مع ما فيها من أصوات وحروف وحركة مد الألف تعطي جرسا قويا، وقد زاد من شدته وقوته البناء الصوتي "يشد"، لأن المراد بعث الصلابة والقوة في الصف الإسلامي لتكون هذه هي صورة المؤمنين مع بعضهم، ويربط النبي هذا المعنى بتمثيل آخر يظهر في حركة صامتة "وشّبك بين أصابعه" وتوظيف الإشارة، فمثل هذا المقام إنما من أجل

التواصل والإفهام، فقد جاء ذلك مصاحبا للكلام باللسان، وموازيا له ومؤكدا إياه ليكون أوقع في نفس السامع.

والصفة الأخيرة التي نود الوقوف عندها صفة يكاد ينفرد بها المؤمن، وقد أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «عجبا لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[48].وهذا المعنى نجده فيما رواه ابن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تفيئُها الرِّيح، تصرعها مرّة وتعدِلها أخْرى، حتّى تهيجَ، ومَثَلُ الكافر كمثل الأرزة المجْذِية على أصْلها، يلُافِئُها شيء حتّى يكون انجِعافُها مرة واحدة»[49]. وفي رواية: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تَكَفَّأُ بالبلاء، والفاجر كالأرزة، صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء»[50].

والحديث بيان لحال المؤمن حين تنزل عليه المصائب والبلايا، وهو صابر راض بها مادام أنها مقدرة عليه من رب العالمين، الذي لا يريد به إلا الخير، وهو في مقام كالنبتة الطرية تتمايل مع الريح من أي جانب عصفت بها، فالمؤمن يتعرض في حياته إلى مواقف صعبة وابتلاءات كثيرة فيخشع وينحني لله راكعا وساجدا يطلب عافيته وعونه.

أما الكافر، أو الفاجر؛ فإنه يجزع في مواجهة البلايا على قلّتها مقارنة بالمؤمن بسبب فجوره وبعده عن الصواب، وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم الأرزة تمثيلا لصورة الكافر أو الفاجر، صمّاء صلبة شديدة يقصمها الله بالهلاك، لأنها في الغالب تشتمل على شكل جميل ومنظر بديع ولكنها قليلة النفع الغذائي أو معدومة الخير، وهذا حال الفاجر والكافر في مظهره وجوهره، ثم أنها تتحطم إذا واجهتها الريح بخلاف السنبلة فهي ثابتة كثبات المؤمن وصبره عند النوازل والمصائب.

والحديث من التشبيه التمثيلي «والوجه فيه عقلي، وفيه مشهدان يكونان لوحة، ونحن نتلمس الحركة، ونتصور كيف تحرك الريح النبتة، وتعيدها إلى حالها، وكيف تكسر

الأرزة مباشرة، والصبر هنا متجسم في التكّيف المتعب، والابتلاء مؤقت كما اقتضت الحكمة الإلهية والربوبية الراحمة[51].

3- أثر التمثيل النبوي الشريف في بيان فضائل القرآن الكريم.

القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أشرف رسول إلى خير أمة أخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسمحها وأكملها هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء المحفوظ في الصدور المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس قال تعالى: {و إنه لتنزيل رب العالمين} [سورة الشعراء:192، ولقد تناول الحديث النبوي الشريف فضائل القرآن الكريم مستثمرا الأساليب البيانية، خاصة التشبيه التمثيلي مبرزا فضل حافظ القرآن الكريم، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران»[52].

ومنزلة الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له، فمثله مثل منزلة السفر الكرام، وهم الرسل، وقيل الملائكة، أما من كان يقرؤه فيتعاهُده وهو عليه شديد، لضعف حفظه، فإن له أجرين، وهذا لا يعني أن أجره أكثر من أجر الماهر، بل الأول أفضل فهو مع السفرة الكرام.

والمقصود أن ثواب تلاوة القرآن يتفاضل بتفاضل القراء في التلاوة، وهما القراءة والاتباع، فمن بلغ فيهما مرتبة الإحسان فهو بأفضل المنازل، ومن ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مرّ»[53]، وفي رواية ثانية عن شعبة عن قتادة أنه صلى الله عليه وسلم ربط بين القراءة العمل، فقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن

الذي لا يقرأ القرآن ولا يعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر»[54].

يقول ابن الأثير: «وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبّه المؤمن القارئ ـ وهو متصف بصفتين هما: الإيمان والقراءة ـ بالأترجّة، وهي ذات وصفين هما: الطعم والريح، وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ، والمنافق القارئ، والمنافق غير القارئ »[55].

والترتيب واضح في بناء الصورة التمثيلية، حيث قدّم المؤمن الذي يقرأ القرآن فيرسل مع الريح ذلك النغم الشجي والمعنى السخي فيقع في الأسماع موقع القبول والحسنعلى المؤمن الذي لا يقرأ القرآن وشبهه بالتمرة، ثم قدّم المنافق الذي يقرأ القرآن وشّبهه بالريحانة لطيب رائحتها، لأنه يرسل بقراءته القرآن الصوت العذب إلى أسماع الناس فيكون فيهم بالقبول بالرضاء، غير أنه لا خير فيه ولا نفع، وأما المنافق الذي لا يقرأ القرآن فهو كالحنظلة لا ريح فيها، وطعمها مر، ونلاحظ في حديث عن المنافق فقد صدر السّيء، لأنه أقل سوءا وسفالة، وأخّر الأ سواء وهو المنافق الذي لا يقرأ القرآن، وهو أحق بالتأخير عن الأول.[56]

وهذا الترتيب نجده أيضا في ترتيب الثمار فقد قدّم الأترجة، لأنها تجمع بين الطعم والريح الطيب، ثم التمرة لأنها لها طعم حلو ولا ريح لها، ثم الريحانة لها ريح طيب ومرارة الطعم، ثم الحنظلة طعمها مر أو خبيث، ولذلك نجده عليه الصلاة والسلام يجعل المؤمن الذي يقرأ القرآن في صدارة التمثيل، لأنه الأحق بالتقديم، وشبهه فهو خير معطاء يشعر من حوله بطيب أفعاله في نفوسهم.[57]

ومسألة العطر والريح الطيب، نجدها في حديث آخر، يربط فيه عليه الصلاة والسلام بين تلاوة القرآن والريح الطيب، ومما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.تعلّموا القرآنَ واقرؤوه ُ ، فإنَّ مثلَ القرآنِ لمن تعلَّمه فقرأه ُ وقام به كمثلِ جـ رابٍ مَحشُوٍّ مسكًا، يفوحُ ريحُه في كلِّ مكانٍ، ومثلُ من تعلَّمه فَيَرْقُدُ وهو في جوفِه كمثلِ جرابٍ وُكِئَ على مِسكٍ»[58].

وهذه الصورة التمثيلية المركبة امتدت وتركبت من عناصر لتيسير تمثيل فضل الذكر الحكيم، والصورة التمثيلية هي مقصود الحديث الذي يسعى إلى تحبيب الناس في الإقبال على القرآن الكريم والحفاوة به «جاء التشبيه، وتشبيه القرآن بجراب الجلد المملوء بقطع المسك على سبيل التمهيد والتهيئة للصورة التمثيلية المراد في الحديث الشريف، حتى إذا تّمله التشبيه عاد فوظّفه في صورة مثل ظاهر على المؤمن في حالتي عنايته بالقرآن قراءة أو حفظا، والمثل بطبيعته البلاغية أو الفنية يسعى إلى تمثيل الصورة المعنوية المنقولة في صورة حسية مشاهدة، وهو أعون على إدراك المعنى»[59].

وبذلك يمكن القول إن الحديث النبوي يدفع الأمة إلى الارتباط بالذكر الحكيم، ويدعو إلى العناية به درسا وتعليما وفقها وحفظا، ليرمي من وراء ذلك كله إلى أن القرآن الكريم هو دستور الوجود في الحياة وطريق إلى الفوز بالجنان يوم الحساب.

الخاتمة

تمكن الرسول الكريم في الحديث النبوي الشريف من التعبير عن المعاني التي يسعى إليها بطرائق وأساليب فنية متعددة تختلف بحسب النص النبوي الشريف، وبحسب الغاية التي يهدف إليها، ومن هذه الوسائل التشبيه التمثيلي.

ومن خلال المباحث يمكن الوقوف عند أهم النتائج التي توصلنا إليها.

1 – تناول علماء البلاغة التمثيل، وقد تعددت فيه الآراء، بين من يرى فيه أنه مرادف للتشبيه البسيط باعتبار الفهم اللغوي، وبين من ينظر إليه على أساس حاجة التشبيه إلى التأويل، ومن ينظر إليه على أنه مركب عقلي غير حقيقي، وبين من ينظر إليه على أنه مركب سواء كان عقلي أو حسي.

2 – كثر التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف، خاصة عندما يتناول الأمور الغيبية والمعنوية، التي تغيب عن السامع، ولا يعلمها، ولهذا تأتي التمثيل عادة لبياني ذلك..

3 – مادة بناء التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف، عادة مأخوذة من البيئة العربية، ومن عناصر الطبيعة الحية والجامدة التي تحيط به

4 – التمثيل النبوي الشريف تترادف وتتزاحم فيه المعاني، حيث يمكن أن يكون كل تمثيل موضوعا لدراسات بلاغية تجتمع فيه الأساليب المختلفة في البلاغة العربية.

5 – وجه الشبه في التمثيل النبوي الشريف في الغالب يكون أعرف في المشبه به، مما يجعل الصورة التمثيلية أكثر وضوحا، تتفق مع الذوق السليم، وتكون أكمل وأتم عند إرادة الصفات، وتقريرها في المشبه.

6 – يقوم التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف عل تجسيد المعاني وابرازها في صورة محسوسة تتسم بالحياة والحركة، وتتحول فيه الظواهر السمعية، إلى ظواهر شمية

7 –التشبيه التمثيلي في النص النبوي الشريف، لم يكن هو الغاية مثل ما نجده عند بعض الأدباء، وانما دائما يبقى وسيلة إيضاح للمعاني والكشف عنها وتقريبها من الأذهان والعقول، أما الجانب الجمال فهو في المقام الثاني، ومعياره الوضوح.

8 – لا تكلف في بناء الصورة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف، خاصة في انتقاء الألفاظ والعبارات المناسبة لبناء الصورة، فهي عادية تتسم بالطبع المألوفإلى جانب البعد عن الغرابة والتعقيد بنوعيه، مما يساعد على ظهور المعنى.

الهوامش

1 البخاري، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى البُغا، دار الهدى، الجزائر، ط1، عام: 1992م، (د ، ط)، ج3، ص:1087، رقم الحديث:2815.

2 انظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، دار الكتاب العربي، بيروت، ع/ط7،عام: 1983م، ج5، ص:129.

3 ابن منظور، لسان العرب، تنسيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، عام:1988م،ج7،ص:23.

4 ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج7، ص:23.

5 أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، ط1، عام2006م، ج2، ص:166.

6 أبو القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، تعليق خليل مأمون شُي، دار المعرفة، بيروت، ط1، عام:1988م، ج21، ص:838.

7 انظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، عام:1998م، ص:148.

8 الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، عام:2004م، ص:172.

9 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق السيد محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية القاهرة، (د،ط)، (د،ت)، ص:80.

10 بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، عام:2004م، ص:66.

11 المرجع نفسه، ص:66.

12 انظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص:78.

13 السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، طبعة دار الرسالة، بغداد، ط1، عام:1982م، ص:574.

14 المصدر نفسه، ص:575.

15 تقدم تخريجه.

16 انظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج5، ص:129.

17 انظر: مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب لعربي، بيروت، ط1، عام: 2004م، ص:196.

18 عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، عام: 1969م، ص:70.

19 عزة محمد جدوع، البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مكتبة الّرشد، الرياض، ط2، عام :2014م، ص:268.

20 مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص: 195.

21 عزة محمد جدوع، البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوي، مرجع نفسه، ص:270.

22الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، عام: 1988م، ج3، ص:28.

23 الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج2، ص:18.

24 الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج2، ص:16-17، 17-18.

25 انظر: عزة محمد جدوع، البلاغة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مرجع سابق، ص:277.

26 الشريف الرضي، المجازات النبوية، تحقيق محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، عام:2007م، ص:9.

27 الخطابي، غريب الحديث، تحقيق، إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، ط1، عام:1982م، ج1، ص:64.

28 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص :58.

29 انظر: حاشية صحيح مسلم، رَضْمَةُ: حجار مجتمعة ليست بثابتة في الأرض، كأنها منثورة، ج1، ص:193. رقم الحديث:207.

30 أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، ببيروت، (د،ط ـ د،ت) ج1، ص:193. رقم الحديث:207.

31 خليل محمد أيوب، بلاغة الحديث النبوي الشريف بين التشبيه والمجاز، مخطوط، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، عام:2007م، ص:59.

32 انظر: المرجع نفسه، ص:59.

33 مرجع نفسه، ص:59.

34 البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج5، ص:2378، رقم الحديث: 6117.

35 نور الدين عتر، في ظلال الحديث النبوي، دار السلام، للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، عام:2013م، ص:62.

36 انظر: خليل محمد أيوب، لغة الحديث بين التشبيه والمجاز، مرجع سابق، ص:70.

37 صحيح البخاري، مصدر سابق، ج5، ص:2379، رقم الحديث:6118.

38 صحيح مسلم، ج4، ص:1789، رقم الحديث:2284.

39 محمد أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مرجع سابق، ص:157.

40 صحيح البخاري، مصدر سابق، ج1، ص:34، رقم الحديث:61.

41 صحيح مسلم، مصدر سابق، ج4، ص:2165، رقم الحديث:2811.
42 انظر: خليل محمد أيوب، لغة الحديث بين التشبيه والمجاز، مرجع سابق، ص:70.
43 المرجع نفسه، ص:70.
44 نور الدين عتر، في ظلال الحديث النبوي، مرجع سابق، ص:70.
45 بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الطباعة المنيرة، (د،ط–د،ت)ج2، ص:14.
46 صحيح مسلم، مصدر سابق، ج4، ص:1999، رقم الحديث:2585.
47 صحيح البخاري، مصدر سابق، ج2، ص:863، رقم الحديث:2314.
48 صحيح مسلم، مصدر سابق، ج4، ص:2295، رقم الحديث:2999.
49 صحيح مسلم، مصدر سابق، ج4، ص :2163، رقم الحديث:2809.
50 صحيح البخاري، مصدر سابق، ج5، ص :2138، رقم الحديث:5320.
51 انظر: أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، مرجع سابق، ص:152.
52 صحيح البخاري، ج4، ص"1883، رقم الحديث:4653.
53 صحيح البخاري، ج5، ص:2070. رقم الحديث:5111.
54 صحيح البخاري، ج4، ص:1928، رقم الحديث:4772.
55 ابن الآثير، المثل السائر، مصدر سابق، ج2، ص:138،
56 المرجع نفسه، ص: 56.
57 المرجع نفسه، ص: 56.
58 الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وجمال عبد اللطيف، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، عام:2009م، ج5، ص:152، رقم الحديث:3097.
59 انظر: خالد فهمي إبراهيم، تطبيقات في التحليل البلاغي للسنة النبوية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، عام:2013م، ص:14.